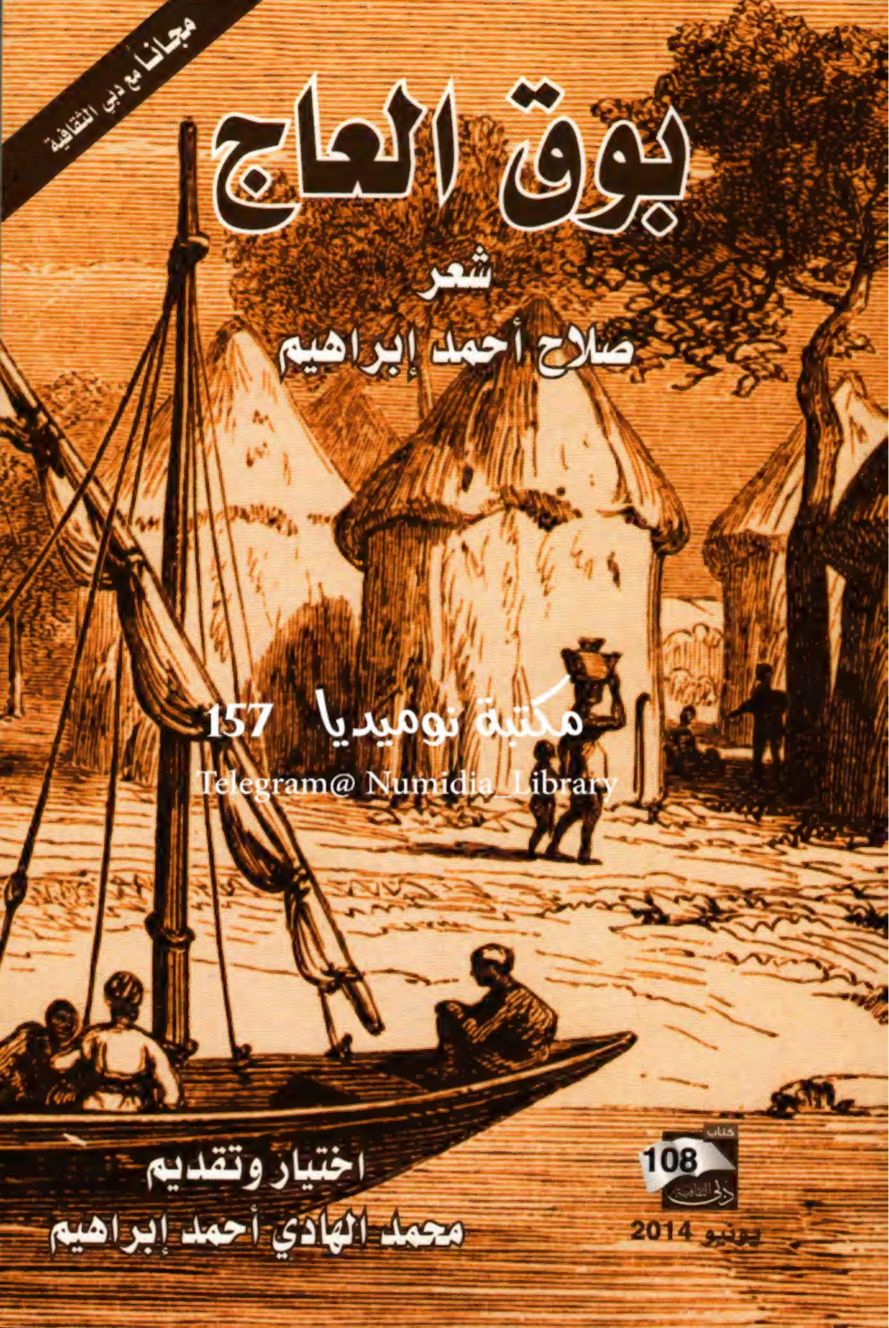

مجاناً مع دبي الثقافية
بوق العاج
شعر
صلاح أحمد إبراهيم
مكتبة نوميديا 157
Telegram@ Numidia_Library
اختيار وتقديم
محمد الهادي أحمد إبراهيم
كتاب
108
دبي الثقافية
يونيو 2014

كتاب

دبي الثقافية

يصدر عن مجلة دبي الثقافية
ويوزع مجاناً مع المجلة
الإصدار 108

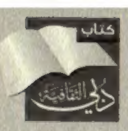

صلاح أحمد إبراهيم

شعر

بوق العاج

اختيار وتقديم
محمد الهادي أحمد إبراهيم

■ الطبعة الأولى، يونيو ٢٠١٤



المدير العام رئيس التحرير
سيف محمد المري

مدير التحرير
نواف يونس

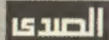
متابعة
يحيى البطاط
محمد غبريس

المدير الفني
أيمن رمسيس

الإخراج والتنفيذ
محمد سمير

مدير العلاقات العامة
محمد بن مسعود

مجلة دبي الثقافية تصدر عن دار



للصحافة والنشر والتوزيع

عناوين المجلة
www.alsada.ae

■ التحرير والادارة دبي:
الإمارات العربية المتحدة دبي
منطقة الصفا شارع الشيخ زايد
هاتف: ٣٤٢٢٢٢٤/+٩٧١٤
فاكس: ٣٤٢٢٦٦٦ ٣٤٢٢٩٢٩ /+٩٧١٤
أبوظبي هاتف: ٦٢٦٨٨٩٢/+٩٧١٢
فاكس: ٦٢٦٨٨٨٣/+٩٧١٢

■ الإعلانات والتسويق:
دبي شارع الشيخ زايد
برج المدينة (٢) شقة ٤٠٢ ص.ب: ٢٩٠٦٦
هاتف: ٣٣١٤٣١٤/+٩٧١٤
فاكس: ٣٣٢٢٢٩٢/+٩٧١٤

■ التوزيع والاشتراكات:
هاتف: ٣٤٩٠١٠٠/+٩٧١٤
فاكس: ٣٤٩٠٦٠٠/+٩٧١٤

هذا الإصدار

بقلم: سيف المري

قراءنا الأعزاء، يسعدنا ويشرفنا في مجلة «دبي الثقافية» أن نتواصل معكم من خلال هذا الإصدار «بوق العاج» شعر: صلاح أحمد إبراهيم، اختيار وتقديم: محمد الهادي أحمد إبراهيم، محاولين التواصل مع جميع قراء مجلتنا على رغم الصعوبات التي يمر بها عالمنا العربي وهو يعيش هذه المرحلة الجديدة من تاريخه.

وها نحن ذا في «دبي الثقافية» نقدم لكم هذا الإصدار واضعين نصب أعيننا ما نذرنا أنفسنا له، وهو نشر الثقافة العربية وتقديمها للقراء الأعـزاء من خـلال كتاب «دبـي الثقافية» الشهري، مع حرصنا على التنويع في شتى مشاربنا الثقافية، تعميماً للنفع، وحرصاً على محاربة الرتابة المفضية إلى الملل، ولن نألوَ جهداً في إضافة المزيد، وكل ما نتمناه

من قرائنا الأعـزاء هو التواصل معنا، وإتحافنا بـآرائهم وملاحظاتهم حول هذه الإصـدارات التي نقصد بها خدمة الثقافة العربية، والتعريف برموزها، راجين إيجاد العذر لنا عند وجود أي تقصير.

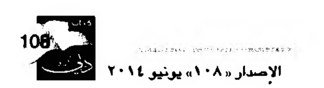
والله من وراء القصد

حفنة من تراب الوطن

لسبب مختلف تماماً، قد يكشر في وجهي أحبار اللغة ونقدة الشعر. لا لأنني كسرت عمود الشعر طَقْ فهذه قضية أضحت بائخة، بل لأنني لم أتحفظ في استعمال كلمات يشبِّه لهم علمهم الجاهل أنها لا تمت إلى الفصاحة أو الجزالة أو لا ينبغي أن تقال. وأنا فخور بعيبي، فعلينا أن نستفيد من عبقرية التناول الشعبي الخلاق للغة دون أن ننسف كيانها، علينا أن نعترف بالمعاني الجديدة للكلمات القديمة وأن نستلهم الخيال الدارج.. نعم لقد أبحت لنفسي أن أقتلع وتداً هنا وأن أقطع سبباً هناك، وكالمطوف في نومه انتقلت من وزن إلى وزن وارتكبت ما لم يرتكب عبيد بن الأبرص.. بسيطة، فقد تغير مفهومنا الموسيقي أيضاً دون خروج على الأصل. نعم إن شعري خشن كالخيش وسيتحدث متفلسف عن التناول الجواني والبراني لتحفظنا الآلهة وعن الثقافة غير المهضومة وربما تعرض أحدهم إلى الثرثرة ولهجة المحادثة أو قل النثرية إلى آخر هذا الكلام الفارغ وليس لي ما أقوله غير ما قال التجاني يوسف بشير: «إن الشعر الجديد يتطلب ناقداً جديداً». والملم بظاهرة الشعر من انبثاقها في فجر الإنسانية وبمراحل تطورها وقوانين

تطورها لا يتنبأ بانتهاء الشعر كفن واختفائه من ثم في عصر التناول العلمي الصارم للظواهر الطبيعية والاجتماعية، بل باستمراره وازدهاره والتقائه بالنثر في نقطة وسط على نحو ما كان بينهما في طفولة اللغة. فاغفروا لي نثريتي هذه.. وعيوبي الأخرى.. وإن لا تفعلوا فلست أطلب منكم فضلاً..

صلاح



خِطَاباتكم

إليكم.. لكل ما بعثتم فيّ من سعادة وبهجة وإنسانية..

يقول «لوهسن» : «لكي تستطيع أن تحب، عليك أن تستطيع أن تكره، ولكي تستطيع أن تكتب، عليك أن تستطيع أن تحب»، وفيكم حبي وكراهيتي..

(١)

حفنة من تراب الوطن

حملتها إلى الرياح

نثرتها هنا في الضلوع

حيث ظلت بذور الشجن

تتحدى مرور الزمن

وسقتها الجراح

ورعتها المسا والصباح

غربة قاسية، وفؤاد ولوع

فهي من كل نوع

زهرات شذاها يضوع

سلوتي في المحن

واليد الآسيه

وشموع

ليلتي حين تخرج أثقالها

حين يمضي الجميع

سوى وحدةٍ قد رمت شالها

«تتر» وتغزل أهوالها[1]

وتشكو إلى الصمت أحوالها

وصمت مريع

يهوّل للنجم أقوالها

فأسهر مستيقظاً للهزيع

الأخير من الليلِ

في الويلِ

حتى تلملم أسمالها.

---

(١) كما في اللسان التحريك. و«المترار» في السودان الآلة التي تحرك القطن وتبرمه خيطاً..



(٢)

من النيل ..

عبر مفازات «دار الكبابيش» ما بين قَلْتٍ وواد[٢]

و«ودّاي» بعد «ديار الهواوير» تحت تلال وفوق وهاد

تعالت أثافٍ وغارت رماد

وفوق بحيرة «تشاد»

وبعد «دهومي»

«ولومي»

إلى دار «غانا» على بحر «غينا»

بلاد ترامت وراء بلاد

أتتني خطاباتكم كالعصافير تنفض عنها الندى في السَحَر

كما تتعرى البراعم عن وردها والزهر

كلغوِ الحصا في مسيل النَهَر

كرقص الرذاذ على المنحدر

---

(٢) القلتة: النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء. قال مالك بن حريم الهمداني: وقلتاً قرت فيه السحابة ماءها؛ وهي من عاميتنا. راجع ديوان الحردلو مثلاً.

كلمعة نيلكمُ في القمر

تمد إليّ الأياد

وتمنحني صدرها في وداد

وتجلس قربي،

على الأرض تخبرني عنكم،

بحبٍ

كلاماً من القلب يملأ قلبي

رفوفاً من الشمع تجري عسل

كسلسال نبع، تمر بسمعي

ترقرق لي ضحكات الأمل.

(٣)

خطاباتكم وَدَعات عزازٌ من الصفوة الحرة الغالية

يجمَعها عاشق للجمال وعالم

بأسرار تجار «غانم»[٣]

بما حملته القوافل ماضية .. آتية

بما خبأوه وراء التراب، من العين خيفة «عين»،

كما الخمر تدفن في زاوية

ومن خلف باب

يضن بها عن صكوك المرابي

وحرص الشيوخ وغي الشباب

وعن عاكف حولها في اضطراب

وعن بائع مشترٍ، عن حساب

وعن حاجة اليوم من مأكلٍ أو شراب

لينظمها في خيوط

---

(٣) الأصح كانم وبرنو، فيما بعد إمبراطورية امتدت من القرن الثامن إلى القرن السابع عشر وقد كان الودع يتخذ عمله في قلب أفريقيا حتى كانم.

من النور، مغموسة في النضار المذابِ

ويجعلها في سموط

ملوّنة «كالشرافة»، من حول أم الكتاب[٤]

يعلقها للظعينة

خطاماً وزينة

جلاجل معقودة في «كتينة»

تكشكش وهو يطير غناء

يمد الحداء

كما انفرط العشب في البادية

وفي صدره قفزات المهار، وحلف الجرار مع الساقية

وقلب كعجوة نخل «المدينة»

وأنتم بهودج قلبي مكانتكم عالية

أنا تحتكم حافي القدمين حسير، أسير وتسفعني السافية

وأرفع عيني مستعطفاً : أنظروني،

فينبهل النور بين يديّ

---

(٤) الشرافة: الزخارف الملونة التي يضعها الأطفال بمدارس القرآن على أطراف ألواحهم عند ختم جزء من القرآن

هنالك بين السجوف أميرة حسني تطل عليّ

كما انبجس الماء من صخرة عاتية

كما تتأرجح في عطرها ياسمينة

كما تتبرج فوق الرؤوس «الرتينة»

فيرقص قلبي بكم،

وتشمل روحي السكينة

(٤)

خطاباتكم... لآلي

رمتها بحجري الليالي

أطرزها في حواشي السويداء مثل عروش الملوك الخوالي

بذوقٍ، وأبهةٍ، وجمال

إذا فرشت بالقطيفة

ومتكئات لطيفة

وأدعوكمُ فاجلسوا يا صحابي، فأنتم ملوكي

وليس لديّ سوى عرش قلبي، وبهو خيالي

وتاجٍ زمرده القافية

(٥)

يقولون كيف استطاع تحمل غربته القاسية

وما كان يسطيع بُعداً عن النيل، وأمواهه الحلوة الشافية

وعن وقفات به كالحياة ترد إلى الميِّت العافية

وعن صبوات به كالصبايا إذا مدُن بالقبلة الدافية

فكيف اطمأنَّ لبُعدِ

وبدَّل عهداً بعهدِ

وفضَّل سوحاً على سوحه

«فقيراً» مكبّاً على لوحه

يفك طلاسم «غونجا» و «يندي»[٥]

وغزوة «صلغا» بلاد «الكلند»[٦]

صحابي رويداً تجنيكمُ هل أصختم لردي

جعلت على القلب من عزماتي قشوراً صفيقة

كجوزة هند

---

(٥) غونجا ويندي وصلغا بلدان في شمال غانا.

(٦) قصيدة مخطوطة للحاج عمر بن أبي بكر عن الحرب الأهلية التي خاضتها صلغا قبيل الغزو الأوروبي. والفقير في السودان الزاهد المتفرغ للعلم.

ففي لبها، بلدي، أهله، والقلوب الصديقة

وأنتم وما قد علمتم

وفي قلبها النيل في قطرات

بجانب أخرى تجمعن من كل خد

يذل بأرض بلادي

وان شئتمُ يا صحابي الحقيقة

حملتكمُ في صميم فؤادي،

ولب مرادي،

كأفضل زاد

فأنتم ونيلكمُ العذبُ عندي.

(٦)

وقفت لهم كالتَبَلْدي[٧]

وقلت: ظماء بلادي هلموا وهاتوا الفؤوس

واهووا بها في يساري واهووا بها في يميني

وفي حيث شئتم ولا ترحموني

وقولوا لأبنائكم في غدٍ

هنا عاشق مستبد الجنون

قضى نحبه قائلاً: بين حين وحين

إذا ما جلا النبت أرضكمُ كالعروس

قفوا لحظة هاهنا واذكروني

وعرّيت عن مهجتي والضلوع

وقلت: جياع بلادي هلموا وهاتوا القصاع

إلى النار واشووا ..

---

(٧) التبلدي شجر ضخم يجوف ويحفظ فيه الماء لزمن الجفاف في غرب السودان.

ومدوا قِراكم لضيف الهجوع[8]

فقد يعتفيكم أخوكم بجوع

وإمّا شبعتم دعوا ما تبقى لغرثى السباع

---

(٨) في الأغنية السودانية القديمة: أوصيكم على ضيف الهجوع عشوه أوصيكم على الولد اليتيم ربوه أوصيكم على الجار إن وقع شيلوه إلخ إلخ...

(٧)

وكم قلت: في النفس أن تسندوني

على الرمل، أن تشحذوا مدية للفداء وأن تذبحوني

بغير افتداء، وأنتم تقولون: إبن مطيع

وكم قد تمنيت أن تطرحوني

على اليم زلفى أمام السفين

وأنتم تنادون: يا بحر سيراً سريع!

وكم ذا تشهيتُ أن تعصروني

بأرجلكم، فإذا ما استطبتمْ دمي قدموني

وهزوا الكؤوس

وقولوا لقد كان موسمه طيباً

أباح لنا نفسه في سخاء وقد بذّ في بذله العنبا

وفي يوم عيدكمُ فاحتسوني

في بهجة الحفل نخب الجميع.

(٨)

وكم ذا تغنيت كالكروان الحزين

بليلٍ غريب وما من سميع:

سلامٌ على موطني في البلاد، على أهله الخيرة الطيبيين

ملاذ الغريب، سياج الضعيف، الحماة، الأباة، ليوث العرين

ذوي الأنفس الرائقات العِذاب، عليها من الحق نور مبين

فضائلهم دون شحٍ تجم، بلا ضجة أو أذى أو ظنون

من الروح، من فلذات اللسان، من القسمات، من الراحتين

كلفت بهم وأنا بينهم، وزدت هدى بالنوى ويقين

بذوراً حملت أنا سرها قوىً، وجذوراً غذتني جنين

فمنها الشذى والجنى والمفيء المفيد ومنها الأذى والمنون

وكم مرة قلت فيها لنفسي وأفشيت ما قلت للعالمين:

أنا منهمُ، وبهم، ولهم، وخدامهم لو همُ يأمرون

يعذبني أنهم في العذاب، ويؤرقني أنهم نائمون

فهم في قيامي، وهم في منامي، وهم في اضطرابي، وهم في السكون

وهم في دمي، في رؤى ألمي، في شبا قلمي، في الغنا، في اللحون

إليهم دعائي، وفيهم رجائي، ومحض ولائي، وكل الحنين

وسربال شعري، وبلبال صدري، وسري وجهري، وزيني وشين

أعاتبهم للذي يعلمون، وما هو فيهم ولا يعلمون

وسوف أظل أنادي، أنادي، ولو نبذوني ولو قتلون؛

....

....

....

أنوء بكم رغم طول التنائي، وهذا ندائي، فهل تسمعون؟

* * *

أوديب ملكاً

أيها القصر الذي يبدو على سيمائه الطهر المريب

مثلما تركية تقتعد الأرض لها سمت مهيب

وعليها طرحة بيضاء لا ترقى لها عين الذنوب

فرشت مصحفها تقرأ في تقوى وفي التقوى ضروب

بينما تكتم في أحشائها سر خطاياها الرهيب

ما الذي تخفيه من جرم، ومن لؤم، ومن إثم كذوب

وخيانات بليلٍ دبرت، يقشعر الليل منها ويشيب

فإذا جدرانه الصم تجيب:

عربد العار هنا منذ «أُديب»

جاءنا في رهطه وهو الغريب

ذات يوم كالح الوجه عصيب

صدره أشعر، في عينيه جمر ولهيب

وعلى حقويه فرو وعلى الكف قضيب

وعلى أظفاره السود بقايا دم شيخ هو لولا جهله أدنى قريب

بل أبـوه. لم تـزل جثته ينهشها الطير على مفرق هاتيك

الدروب

الثلاثة.

جاء توجناه بالغار دهنّاه بزيت وطيوب

ورفعناه إلى عرش «لثيس»

ودعوناه الرئيس

ملك أبناؤه إخوته، فهو أبو أخوته

أمه زوجته، وهو باللعنة مثبوت جنى زوجته

وهو الوالد والمولود والفاقد والمفقود، ضع ما شئت كفيك

على الرأس وقل:

لا حول، ذا شيء عجيب

فالذي نبصره يجري هنا شيء عجيب !!

* * *

هكذا اجتاح الوباء الأصفر القهار «طيبة»

هكذا عضت عليها لعنة الإثم وهزتها المصيبة

ومشى الموت يحثّ الناس يفنيهم بضربات رتيبة

قرض الشبان والشيب، فلا حوشَ نجا دون ضريبة

أو خلا من نائح «طيبة» تحت المنجل الجائح، تحت الفزع الناطح،

تجري شحبت حتى روابيها الخصيبة

فاحتمت بالقصر تستصرخه وهي تنادي في لهاث:

«أيها الكاشف للغمة ناديناك، ناديناك شاكين، أغثنا عظم الكرب، لبسنا خرق الذلة، ناديناك،

ناديناك باكين غسلنا الأرض بالدمع، جأرنا باسمك الغالي،

أغثنا يا أبا الكل أزل محنتنا

يا من أزلت «اللغز» من قبل وهدّمت البناء الشامخ العالي،

أغث يا من إذا نودي أغاث».

وأطل القائد المغوار من مقصورة في القصر كالوطواط كالجرذ الكئيب

حوله الأحرار والأبرار يسعون هم الأبقار عجَّت في زريب

ورآه الناس فانصاعوا إلى الصمت سوى صوت نشيج ونحيب

لا ترى الساحة إلا أعيناً شاخصة ترنو إليه وقلوباً

وجفت إلا أياد مشرئبات رجاء ودعاء ورؤوساً

نكست من هول ما زلزلها بين يديه

وانبرى فيهم خطيب

قارئاً من أحرف مشكولة قعّدها الكاتب تقعيد العروس:

«إيه يا شعبيَ يا من أنجبت دوحة قدموس... يطيب[٩]

عجز الكهان واستعجم عرّاف «زيوس»

لم يعد غير الذي معبده من ذهب.. غير «أبولو»

ما الذي جاء به «كريون» من «دلفي» فقد حار الدليل

قل لنا «كريون» فالصبر قليل

قل لنا والجرح يدمي ويسيل

قل لنا أو مُرْ يقل هذا الرسول

وسنعطيه الذي فيها النصيب»

وتنحى «لِترسِياس» اللبيب

«لِترسِياس» الذي يصدق في كل نبوءه

توأم التاريخ والتاريخ لم يفتح كتابه

---

(٩) كان «عبود» يبدأ خطبه دائماً «يطيب لي»..

والذي لا يستحي أو يختشي في الحق من شيء فيابه

والذي كرَّمه الرب بدعوات مجابه

رامزاً فيه إلى العقل بشقيه : ذكور وإناث.(١٠)

فتقدم ...

حمد الرب وأثنى ثم قال:

«أيها الحاكم لا تركن إلى قول النفاق

هذه العصبة لن تحميك إن حان المحاق

لا ولا السيف فما في السيف للغادر واق

والذي أقوى من السيف أو السياف أرواح على النطع بريئة

فيك يا سفاح لا في الناس أسباب الخطيئة

فانجُ إن شئت فكم طاغية زال وظل الشعب باق»

كلمات هدرت منه جريئة

بينما جلّل وجه البغي شيء كالكآبة

لحظات، ثم لم يخفِ اضطرابه

مزبداً فيه : «افتراءات مسيئة

---

(١٠) كان ترسياس الحكيم في هيئة رجل ذي أثداء كبيرة.

كاذب أعمى.. نشاط هادم أرعن .. أعمال دنيئة

خطة مكشوفة دبرها، استوردها كريون كريون ...»

ولم يفقد «تِرسِياس» هدوءه

قائلاً: «يكفيك يا هذا فلا يعفيك عما اقترفت كفاك بالفعل

انفعال

إنما العاقل من قيده العقل عن الزلة من قبل العِقال

ربما كان الذي من بصر أعمى يرى ما لا يرى أعمى البصيرة

والذي يحتقر الحق وقد بان استحق الظلم فالحق له فصل

المقال

والذي يبدأ بالظلم إذا ما مسه ليس له أن يتظلم

فتعلم. أيها المغرور.. تكفي غرة بالمرء أن يحيا الفضيحة

كل ما يكتم من أمرِ خبيء سوف يعلم

والخيانات لها ألف لسان يتكلم

ونصيحة

إن ترد خذها وإلا سوف تندم

حاكم من حكّم الأمة لا من يتحكم»

هكذا أنهى «تِرسِياس» بمرأى من جنود الجائر الجبار والناس الغفيرة

كلمات لعلعت منه جهيرة

حين جروه إلى المحبس من غير جريرة

وهو يدعو الناس في صوت له تعنو الجبال:

«إيه يا مقهور لا تفزع من القهر فعمر القهر أيام قصيرة

وتفاءل كلما اشتدت زنود البغي إرهاقاً وقل للنصر قد صارت نصيره

وتحرر بانتهاج السجن فالحر الذي سار إلى السجن ولم يسجن ضميره

إنما الحكمة لا الحكم الذي يرفع أقدار الرجال

في غد ينكشف الـ . . .» مات بها الصوت وران الصمت إلا همهمات

أخذت تعلو مع الأيام حين انفضحت ثمة أشياء خطيرة

أقلقت «طيبة» في محنتها أكثر من ذاك البلاء:

ملك أبناؤه إخوته فهو أبو إخوته

أمه زوجته وهو باللعنة مثبوت جنى زوجته

وهو الوالد والمولود والقاتل والمقتول جرثوم الوباء

آثر السلطة والسلطان بالقوة والجهل الذي يعصب عينيه الضلال

وتحدى الشعب والحكمة والمنطق والعيش الحلال

لقي المخدوع بالحرف مصيره

فاقئاً عينيه تجري بالدماء الفتحات هائماً في الطرقات

صائحاً يستنزل الناسُ عليه اللعنات:

ليتني مت ولم أجلب على نفسي الشقاء

ليتني مت ولم أصغ إلى سلوى نفاق ورياء

ويلتا قد طارت السكرة من رأسي فما في الكأس إلا السَكَرات

ويلتا للعبرة الحية، للمجذوم بالروح، خليع الحق، شلو العبرات

ويلتا يسخر مني ندمي، يسخر مني ألمي، نزف دمي، وجهي العمي...

حتى الممات

فكِّر معي ملوال !

الى «جو» و«أمبرون» و«هيلري»... رغم كثير من الحقد والغباء والغرض في الشمال والجنوب.

ملوال ها أنا ألحس سِنّة القلم

ألعق ذرة من التراب

أضرب فخذي بيدي .. أقسم بالقبور.. بالكتاب[11]

شلّت يدي جنازة لو أنني كذبت يا ملوال !

ولينشف اللسان من جذوره، ولتتفطر هذي اللهاة من ألم

كأنها حنظلة الجبال

لو أنني كذبت يا ملوال

وقبل أن تنكرني اصغِ .. اسمعْ لقصّة الجنوب والشمال

حكاية العداء والإخاء من قِدَم.

* * *

(١١) طقوس القَسم في السودان وبخاصة في الجنوب.



العربيّ حامل السوط المِشَلُّ للجمال

شكّال كل قارح، ملاعب السيوف والحراب

حلّ على بادية السودان كالخريف بالسّنّة والكتاب

خرّب «سوبا» وأقام في أنقاضها «سنار»، والأخرى التي سوارها «تيراب»(١٢)

يحمل في رحاله طموحه ولوحه وتمرتين في جراب

وشجر الأنساب

لاقيتَه في تَقَلي، في الترعة الخضراء، في كاكا، وتيجان الأقار والعلياب

ينافس الفرنديت، يريد منك العاج والعنسيت، والعبيد من فرتيت، والمرعى

وعسل الغابة والخرتيت، كل مايفرّح السوميت في خواطر الجلاّب(١٣)

---

(١٢) سوبا عاصمة مملكة النوبة العليا المسيحية. وسنار عاصمة السلطنة الزرقاء. تيراب من أقوى سلاطين دارفور. يرى بالمر نقلاً عن بيتر شيني أن سوبا كانت قد انحلت قبل تحالف الفونج مع عبد الله جماع عليها، وأن ذلك لم يكن تحالفاً عليها بل حرباً بين ذينيك على أن ذاكرة الشعب لم تطمس فيما يتعلق بذلك العهد.

(١٣) التيجان مفردها توج: مستنقعات دار دينكا، الفرنديت: دودة غينيا. العنسيت: فرس البحر. السوميت: خرز ثمين تتحلى به النساء.

تصطرعان مثل جاموسين يا ملوال، لكن قرنك الصغير، قرنك

الطري،

قرنك الضعيف لا يهاب

والوثني دمه وآله وماله حلال

لا عاصم يقيه إلا أن يقول : لا إله إلا الله، إلا رأفة الإسلام

بالرقاب،

إلا قولة قديمة : كلكم لآدم وآدم من تراب(١٤)

تفتحت حقيقة سمراء في أحشاء كل أمٍّ ولدٍ منهن، من بنات

جدك الأكبر،

مما بذرته نطف الأعراب

فكان منها الفور والفنج، وكل سحنة فاحمة، وسمة غليظة،

وشَعر مفلفل

ذُرّ على إهاب

---

(١٤) «إن أسيادهم من كل ما نمي إلى علمنا كانوا - بشمول - رؤوفين بهم «ميلي ١٨٥٠»إن المعاملة التي يلقاها العبيد (في شندي) من التجار أكثر ما تميل إلى الرحمة مما لعداها. فقد كانوا يعاملون على وجه العموم كالأبناء، وكانوا يخاطبون سيدهم «أبي»، نادراً ما كانوا يضربون، يطعمون فيشبعون، ولم يكونوا يُرهقون، وكان مما يعتبر كبيرة فصل الأم عن جناها، كما لم يكونوا يُحبسون في المنازل » بيركهارت ١٩٣١.

حقيقة كبيرة عارية كالفيل كالتمساح، كالمنيف فوق كسلا

سليطة الجواب: كذابٌ الذي يقول في السودان إنني الصريح،

إنني النقي العِرْق، إنني المحض..

أجل كذاب

* * *

والمثقل الضمير بمثلثٍ أضلاعه العذاب، والإتجار بالعذاب،

والتحضير للعذاب فؤاده سفينة أخس من سفائن القرصان

بيرقها سود المنايا، ونوايا السوء قلعها والإثم والعدوان

ألواحها تنز بالخمور ودم الضحايا قاعها ينغش بالديدان

وحين أقلعت باركها الحبر خليفة الفادي المسيح: ما لله لله

وما لقيصر لقيصر أبناء «حام» العبيد، لعنة من نوح في العهد

القديم ليس العبد كالإنسان واعترت التاريخ قشعريرة،

استيقظ الضمير من سباته، ورقص الدين على مزمار رأس

المال.

الأبيض الشرير جاء من جديد، يتبع الرحالة الجاسوس.

ها غيّر من قميصه الثعبان.

الأبيض الشرير جاء من جديد، مُلْهَم الجرائم الكبرى أتاك

والمبشرَ الأبيض

يبنيان بالقش كنيسة صغيرة

في وسط القرية، في معسكر السخرة، في عقول البسطاء،

في مجاهل الأدغال

جاءاك في تحالف مقدس، حكاية المقعد والأعمى بذاتها،

الرب والشيطان معاً عليك، قيصر الروس وراسبوتين، في

ستة أيام يجدّف الحديد ثم يرتاح لكي تمجد السماء يوم

الأحد الصلبان

جاءاك للأرض، وما على الأرض وتحت الأرض، كل عَلَم

كالخنجر المغروس في مكان

جاءا لأنقولا، لموزمبيق، لجنوب أفريقيا، لزمبابوي، للكنغو،

كما جاءاك يا ملوال

«غردون» في خلواته شرابه المفضل الإنجيل بالبراندي[١٥]

و«بيكر» الصارم يرسل الرعب إلى حدود الزاندي

---

(١٥) ليتون ستراشي: «فكتوريون متألقون».

وكل من معبده مغارة اللصوص، داره مؤتمر الذئاب

وكل من لسانه يمج مثل الشهد وهو للشارب صابٌ .. صاب

وكل من حرفته التضليل، همه حرق البخور للضلال

وكل من علّمه «التفتيش» أن يصم أذنيه عن صواب، أن يضطهد الصواب

وكل من درّسه تجار أوروبا، وكل شيلوك بها، كيف يغش بالحساب

والخنجر المغروس في قلب البلاد صار في العقول فكرةً،

وفي اللسان لغةً،

وفي النفوس غلاً وحزازات يدور كأسها موتاً

وحانات أوروبا ونيويورك تعتق الشراب.

* * *

ملوال. صوت «رابح» يقول بلساني، رابح زينة جانقيك، وفهد جورك الأباة، شبل نمنمك[16]

---

(١٦) رابح فضل الله من قواد الزبير، انسلخ بجيشه بعد تسليم سليمان الزبير وفتح وسط افريقيا مشيداً إمبراطورية من وادي ونهر الشاري حتى شمال الكاميرون، النمنم هم الزاندي عند العرب.

«عبد الفضيل»، تمساح جزائر النيل، وقلب وطني الجامد -

يا ملوال - ابن عمك و«ثابت» الثابت حينما تحسس الردى

ضلوعه في طرف الخرطوم، ربما كانت له قرابة بأمك

وابن كبرياء هذا الشعب، عينه، لسانه، ضميره ويده،

«علي» العظيم

فلذة من قومك(١٧)

تحطم البِيانُ غير أن نغمات منه لا تزال تفعم الأثير، لاتزال

تفعم الأثير

أسمعها بأذن «وولت ويتمن» تقول: عيشوا أخوة، برغم كل

شيء أخوة،

وعمروا بالحب هذا البيت، هذا الوطن الكبير(١٨)

أصداؤها تضج في دمي : يا روضة أزهارها شتى، أشم فيك

عبق المستقبل الجميل، حينما الجميع يلتقون في التقاء

الأبيض الحليم بأخيه الأزرق المثير

---

(١٧) عبد الفضيل وثابت من شهداء انتفاضة ١٩٢٤ المسلحة، علي عبد اللطيف زعيم «اللواء الأبيض» أول تنظيم سياسي بالسودان، ثلاثتهم من أصل دينكاوي.

(١٨) وولت وهيتمن: شاعر أمريكي عاصر الحرب الأهلية معظم شعره «أوراق العشب» في الإخاء والاتحاد والديمقراطية.

انظر يوم يقبلون عرباً، وبجةً، ونوبةً، وفجلوا، وباريا، وبرتةً،

وبنقو، وزغاوةً، وأمبرو، وأنقسنا، ودينكا، وتبوسا، وأشولي،

ونويرَ، ومساليتَ، وأنواك، ولاتوكا، وغيرهم وغيرهم، للبوش

كل منهم

يهدي ولكن باعتزاز شيئَه الصغير

ويوم أن يسود في السودان صوت العقل، صوت العدل، صوت

العلم،

واحترام الآخرين :

حقهم في أن يكونوا «آخرين» حقهم أن يبلغوا الرشد متى

شاءوا،

وكالشمال الريح

أحراراً فأمهاتهم .. يسود صوت الحق، صوت الخير(١٩)

ذاك الذي يمكن أن يجمله صديقنا «قرنق» بالديمقراطية

الحقة، ما نعرف أنه هناك ثابت

---

(١٩) كلمة منيفة لابن الخطاب : يا عمرو.. متى استعبدتم الناس إلخ.

كهيكل الفولاذ يمسك البناء في سعادة القرغيز والتتار

والبشكير[٢٠]

فكر معي ملوال أي مجدٍ سوف ننشيه معاً، على ضفاف النيل،

أي مجد، لو صفت نياتنا الاثنين

يتيه في مروجنا الخضراء مثل «آبيس» الإله يملأ العين،

يسر القلب، يهمز

السماء بالقرنين

فكر معي ملوال قبل أن تنتابنا قطيعة رعناء،

باسم عزة جوفاء أو باسم سداد دين

يوغرها الأعداء بالذي مر به الآباء، فلنقل براء نحن منها،

ننفض اليدين

تفتحي يا أمنيات الشعب عن مستقبل نحن معانيه معاً،

وعن هناءة الشمال والجنوب

عن نضارة الإخاء في هذين

---

(٢٠) جوزيف قرنق المحامي من أبناء جنوب السودان المناضلين الشرفاء، كان عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وصديقاً حميماً للشاعر، أعدمه جعفر نميري بعد انقلاب ١٩ يوليو عام ١٩٧١م. القرغيز، التتار والبشكير من قوميات الاتحاد السوفياتي الآسيوي سابقاً.

يوم لا تقوم بيننا السدود والحدود، يوم لا يعذب الجدود في

قبورهم حاضرنا،

لا الدين، لا الأصل ولا سعاية الغريب، لا جناية الغبي، لا

وشاية الواشي

تدب كالصِلال في القلبين

فكر معي ملوال !

* * *

٢١ أكتوبر

إلى محاسن عبد العال ... والآخرين ... للبسالة.

فإن لم أحترق، أنا

وإن لم تحترق، أنت

وإن لم نحترق كلنا

كيف يمكن للظلمات

أن تصبح

ضياء؟

«ناظم حكمت»

(١) هات لي بوقي !

هات لي بوقيَ بوق العاج لا الآخر. واسبقني إلى الساحة،
خبّر صاحب الحانة أن ينزل لي الراية
هات لي بوقي - هات القرن - واسبقني إلى الحيّ، فضيفي
الشعب عصر النصر
. كل الشعب والفرحة صهباي
هات لي قرني، واسبقني، وهيّئ لي مكان الحفل بالزينة تمتد
من البقعة،
من بُرّي، ومن توتي، ومن نحو الحماداب لحلفاية
وادعُ لي كل بنات الشعب، يرقصن كموج النيل، يطلقن
الزغاريد، ويسمعن
الأغاريد، ويجلونَ لنا العيد، ويسعدن ندامای...
هات لي قرنيَ، لن أحبس أنغاميَ في صدري، لن أقدر أن أحبس
أنغاميَ في صدري، وفي قلبي نحاسان، وفي هاجستي أصداء
«أمبايه»[٢١]

---

(٢١) أمبايه : قرن خليفة المهدي. والنحاس : طبل النحاس لا يقرع إلا لأمر كبير.

هاته، هات ليَ الريش، وناولنيَ جلد الفهد، والزينة للزند،

فللفرحة في صدريَ عفريت، صرعت البغي يا شعبي لك

المجد فأعداؤك أعدايَ

هاته ندفن به الأبطال موتانا، ضحايا العنف، أولى صرخات

الثورة الكبرى، وآلام مخاض النصر، فالعنف هو الدايه

هاته نطرب به الأبطال جرحانا، بموكبه، نصنعْ منه للأبناء،

للآتين في شط غدٍ آيه.

هاته، دعني أمزق رئتي، دعني أدمّي شفتي، دعني أجرّحْ

حلقيَ اليوم

وشدقي، وأخشّن إصبعي بالنفخ في بوقيَ بوق العاج أسكر

شعبي الفرحان والزاحف في عزم إلى الغاية

هاته، وادع ليَ الشعب، أبي الشعب، أخي الشعب، ونور العين

والقلب،

وروح الروح، سلواي ونجواي

هات لي بوقي[٢٢] !!

---

(٢٢) هذه القصيدة ليست الأولى في الترتيب الزمني ..

(٢) دماء في الخرطوم

سهرت والعالم نسمع النبأ

نقول للشاعر قد كذبت من قبل فهل تكذب مرتين

(الثورة البيضاء)[٢٣] قال.. والرفاق

أنشوطة الحبل على رقابهم مطبقة.. يا للنفاق

كذبت يا شاعر من قبل فهل تكذب مرتين

(شعّتْ على البلاد بالسلام) قال.. مرحبا

لا بد أن تعود لقطيعها العرجاء

كذبت يا شاعر من قبل فهل تكذب مرتين

مدينتي الخرطوم حلقها يغص بالدماء

ما يفعل الرصاص في الخرطوم إن لم يكن أبناؤها الأعداء

كذبت يا شاعر من قبل فهل تكذب مرتين

وكذب الكاتب والخطيب والمذيع والواعظ ذو اللحية

والبطن الوكاء

---

(٢٣) ما بين قوسين مقتطف من أغنية مشهورة تمجد حكومة عبود الديكتاتورية تأليف السر أحمد خليفة تلحين برعي دفع الله وغناء المجموعة . الرفاق : الضباط الخمسة المشنوقون، راجع قصيدة «تأرجحي» في ديواني «غابة الأبنوس»

وأنت قد كذبت من قبل فهل تكذب مرتين؟

* * *

سهرت وحدي شاخصاً معذباً

وليلتي صارت عليّ ليلتين

وقربيَ المذياع صامت يضن بالنبا

وفوقيَ النجوم في وجوهها وجوم

يا ليتني هناك بين قوميَ الأباة لا مغتربا

تنزف مني قرحة الهتاف في الحلقوم

تحملني الأسود كفناً مخضباً

أُورَثُ مثل بردة النبي، في العرين

* * *

بالله يا نجوم كيف حال أخوتي

وكيف حال رفقتي، وكيف حال شعبيَ العظيم

شعبي الذي أحببته حبَّ الذي قد عشقا

كيف تراه الآن، هل تراه بات جفنه مؤرقا

وهل تراه بات حبل شمله ممزقا

وهل تراه بات في السجن ألقَوا ومرهقا

وهل تراه واجه النيران مثل يوم «كرري» فاحترقا[٢٤]

انظره يا نجم، والغبار في أهدابه والعرقا

والملح من شفاهه كصائم، والثوب مشدوداً عليه مِزَقا

انظره يا نجم، عابساً مكشراً، كغضبة النيلين

عند الملتقى

كل فتى كالحبشيِّ الأزرق الحيِّ في انطوائه، حتى إذا ثار

طغى فأغرقا

وكالبشاريِّ يقاد بالمعروف، إمّا اغتاظ دق العنقا

أعرفهم : الضامرين كالسياط، الناشفين من شقا

اللازمين حدّهم، الوعرين مرتقى

أعرفهم كأهل بدرٍ شدةً، ونجدة، وطلعة، وخلقا

أعرفهم إن غضبوا مثل انفلاق الذرَّةِ

أو وثبوا فكهويِّ الصخرة

أو فتكوا فاسأل عن الصاعقة

أو زأروا فالحزم ملء الزأرة

---

(٢٤) بلغ موتانا وجرحانا في موقعة كرري على أبواب أمدرمان ضد الجيش الفاتح ما يقرب من الثلاثين ألفاً..

الجن لا يحوشهم من شدة التعنت

تسوقهم إلى الردى زغرودة الفتوة

أو هاتف۔ ولم يسمً يا أبا المروءة

فيأكلون الجمر لا يلوون بالدنيةِ

يا نار ما فعلت بالفراشات التي...

بفتية أذكرهم أمس على الطريق بالتميمة

نهشتهم يا نار أم وهبتهم لأمتي

أواه لو ألوك كبد البغي، لو أستلُّ حلقه بقبضتي

أواه لو أثأر للشعب الذي لا يعرف الذل وقد أذله الهوام، لو تنمو

برأس غضبتي القرون كي تبقر بطن البغي، لا أرفع من دماه هامتي

حتى يقول لي كفى... رويت من دم الغول اللئيم غلتي.

(٣) في المشرحة

المشرحه...

آوتهمُ بعد انقشاع المذبحه

يدرك من يراهمُ أنهمُ ماتوا وكانوا يهتفون

فانقطع الهتاف عن حلوقهم، وبقيت أفواههم مفتّحه

مدافعاً قد عبئت لأنفها ذخيرة، وصوّبت ينقصها القذّاف

قبضاتهم قابضة على الهتاف كالأطفال حين بالنقود يحلمون

وجحظ التصميم من عيونهم، يكاد يتنزى شرراً لو فضّ عنه

خاتم المنون

كانوا هناك مرصوصين في مناضد الموتى، فكل واحد كأنه

الهتاف قد مُدد بالطول إلى جانبه الهتاف

أو أنه قنبلة جاهزة تنتظر الشحن من المصنع للميدان لا

جنازة جاهزة جاء

بها الإسعاف.

(٤) نداء الثأر

الشهداء

عيني عليهم الصغار كالنوار لم تذق أيديهم الحناء

أيديهمُ... لو قبلة واحدة عليها !.. اختضبت دماء

بيتهمُ الجديد صار اللحد.. وشعارات الجموع الشدو والغناء

والصندل الفوّاح وبهار الهند ورق السدر وبعض ماء

زغردن يا بنات شعبنا العظيم زغردن لهم، للصبية الفرسان

ولتكن «الموت لقاتليهمُ عديلةَ الذين في أكفانهم عرسان(٢٥)

---

(٢٥) العديلة : أغنية تقليدية تبدأ بها مراسيم الزواج في السودان ويزف بها العريس، وقد جمعت «عريس»على الصيغة الشعبية وفي المجال سعة.



(٥) الدرس البليغ

لم يكُ في بيت شهيد من شهداء الأمة مأتم

لكن كانت بقلوب الأمّات مآتم

يتلاقى فيها مر الصبر بسكين السفاك المرتزق الآثم

لم يك في حسبان العم «ديمتري» أن فتاه اليانع سوف يموت

لم تك أم القرشيِّ من «القرّاصة» في «بَحْرَ ابْيَضَ»[٢٦] تفهم

أن «حبيب الشعب» كما نعب المذياع به خرّاب بيوت

وباسم «حبيب الشعب» رمى الرامي أبناء الشعب ولم يهتم

فتعلم عفوَ الساعة من لم يك في أعوامٍ يأبه أن يعلم.

---

(٢٦) اعتبرتها مركبة تركيباً مزجياً أو هي كذلك.

(٦) مبيور

مات هناك في رحاب النور

صديقنا فتى من الجنوب إسمه «مبيور»

تراه في الصباح كتحية الصباح يُرقِص البهجة في الأرواح

والسرور

مؤتلق الأسنان في ابتسامة كأنها سرب الإوز انتظمت روقاً

على صفحة

«نهر الجور»

طوية عذراء لم يسمُ إليها طارق النفاق والشرور

ذكرنيه صاحبي والظلم في أول عام

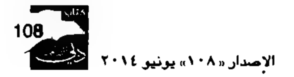
في محفل مرّغ فيه العلم بالرغام

«الجنرالات» هناك كزكائب قد عبئت بالجهل، كالدنان،

كالأصنام

والطيلسان ينحني للصنم الأكبر في احترام

مهزلة أشحت عنها غاضباً في كبدي بثور



أقول للجامعة الزهراء؛ دارَ حكمة كنتِ فصرت دار زور

وا حسرتاه، العلماءُ سلموا سلاحهم تهافتوا كأنهم أقزام

أنت الذي فيهم

على الأقل أنت مثلما أنت، ولم تكذب على نفسك أو غيرك يا

مبيور

(٧) صوت من العدم

فكلؤلؤة كانت تتكوّن في قلب الصَدَفه

كالأشعارِ

تشتاق مسيل العطر يَبِصُ[٢٧] على النحر العاري

فانهار عليها منقضّاً مثل الصقر «الرفُّ القاري»

ردمت بالصخر وبالأحجار المنجرفه

لتظل حبيسة قاع بحار

أبد الدهر هذا المسكين

لم يذكر أمري إنسانٌ، أو قيل فلانٌ استشهد

أنا من لم يبك عليه أحد

وأنا المفقود ولم يفقد

حلم زاهٍ ومجرد وعد

مالي اسمٌ، مالي جسمٌ، نغم في وتر لم يُشدد

وبذور لقاح قد علقت، بجناح فراش فاحترقت بلهيب النار،

تلوّع

---

(٢٧) يبص: يتلألأ لامعاً.

قلب الأزهار.

لم يحنُ عليها كمٌّ لم توجدْ

مالي أمٌّ، لم أسبح في رحم بشري لم أولد

لم أصرخ في يد قابلة، لم تضحك لي جنبات المهد

كسراب طفت ببال شهيد، ذا أو ذاك من الشهداء

لا تستبعد،

قرشي مثلاً أو عز الدين

أشواقاً رائعة كالطيف كآمال البنت العذراء

فيعش خيال البهجة تدفئها ـ في قش مختار هش، في أَنعم

ريش رفه كفراء صدر حان، وصبا ما زال أجش الصوت،

وخاطرة تتلعثم مطرقة بالأعذار

وقتاً وانقض على العزلاء

في دعة الوكر عقاب كفات ضاري

جحمٌ. نهمٌ

مثل الحمى ببراثنه، بقوادمه، بالمنقار

اختطف من العش الأما، لم يترك فيه من ثمّ، غير مثار

الزغب، سوى قطرات دم كالنوار

وثلاثة أقحاف بيض ورقاق

من ذكرى فرخ ضمته وهماً خلاّق

باق فيها بعض صفار

كبقايا الراح على أقداح هشمها ساق كدم مهراق

من حبلى قد بقرت سكين

منها الأحشاء بلا ذنب، فانبجَّ جنين

أنا من أبناء القرن الحادي والعشرين

لو لم أوأد

من هم في عمري سوف يرون غداة غد عهد الخير

مثل الفردوس

فالأرض شموس

مادت كعروس

بوشاح مبتهج ممتد

من كتف القطب إلى القطب

منقوش فيه شعر غزل؛

المارد ابن الكدح الأسطوري

فك سراحه

جنيُّ المصنع يخدمه كسليمان، وله غلات الحقل

المارد حين تحرر حرر من قهر

فاطمةَ البنت السمحة

وأخاها «البلّه» كاليبانَ أخاها المضطهد الأسود(٢٨)

والكلمة و الوجدان و حطم من أغلال العقل

أهلاً بكمُ بالنور يحييكم عصر النور

عصر التشييد، وعصر الخلق، وعصر الراحة

فالعلم عمل،

---

(٢٨) تقول الحكاية الشعبية السودانية ذات المغزى العميق في احتكاك الأجناس : ورجع الشرير زوج فاطمة السمحة ومعه أخوها البلّه .. وقبل أن يصل غمس البلة في البحر الأسود فتغير لونه. وعندما وصل قال لفاطمة السمحة أتيتك بعبد، ولم تكن تدري أنه أخوها ولذلك كانت تسومه شر العذاب . وكانت روح أمها تأتي عندما ينام الناس في هيئة حمامة فتقف على الراكوبة الخص وتسأله : بله بله كيف حالك يا بله؟ فيرد قائلاً: حالي حال السواد يا يمه، أرقد مع الكلاب يا يمه، وأشرب مع الجداد (الدجاج) يا يمه. فتبكي وتبكي وتبكي. وتقول لفاطمة : يا فاطمة لبني يخونك ويقطع بطونك. وأخيراً تسمع فاطمة بذلك وتنقذ أخاها. وكاليبانـ كما في «عاصفة» شكسبير هو رمز اضطهاد الجنس الأسود الذي لا خلاص له إلا بالاشتراكية.

عدل وأمل

بالعلم أخذنا كل ضنين

وأقمنا الحلم «اليوتوبي»

مدنيتنا الإنسان يسير على إثنين

فيها ويعم الفضل وأهل الفضل

ومدينتنا تتغنى في عيد الشكر

والتذكار

طرباً، والبِشْرعلى ربوات السهل

طفل جارِ

بيديها إكليل الغار

للعادي من «مرثون» بأخبار

تتغنى في عيد الشكر؛

طوبى للرائد من عاش العمر غريباً

في الغاب، بلا ناب، وسط ذئاب

من كان يراني ويخاطبني عبر الحجب

فيقال جنون

هذر، إفساد، إلحاد، طيش ملعون

طوبى للقائد مصلوباً

لنبي

للحامل ألواح التاريخ يبشر بي

للحكمة تسلخها أدوات الجهلْ

للثائر يحلم بالنصر

يتحدى طغيان العصر

في حفنة أنصار يقصد بابي

طوبى للجوعى للصرعى

لسواد الناس على الحقب

لضمير مقروح يرعى... آلام الأهلْ

ناموا في دعة يا أحبابي

أنتم مني في الأحداق

فالماس تكون بعد عذاب

الضغط الهائل في الأعماق

ناموا في دعة ولكم حبي !!

(٨) المجد للشعب

لتدرِ الشربات والشاي وكاسات الشراب فالشاعر للشعب
يجوّد المديح
يقول يا ويلي، أرقق الكلام كل ليل ـ كالعجوز بالمترار عاجزاً
قعيداً،
لم أرح من وقعة شهيداً، لم أقع في ساحة جريح
ليدر الشراب والشاي إذاً على الشيوخ والشباب وليستمع
الشعب إلى شاعره الفصيح
يقول ويعيد القول هذا يومنا المجيد، هذا العيد، محفل
سعيد، يا حضور فاستزيدوا، جلسة في الحرمين
نريد أن نثلث الشكر لمستحق الشكر بالشعر الذي تثبت
كالخضاب قبلة منه على الشَعر على الكفين والرجلين
نبتدئ الإنشاد بالتحدي، نذكر الشجعان، كل فرد: «نمراً»
بشندي،
جهجهت وَثْبَتُهُ الطغيان في أشجاره، ولم يمت بثأره، فحدثت
عنه



الفروع والريح[٢٩]

وعصبة شدت على»شيكان» وانبرت تناكف الشيطان في

الشمال والشرق،

اقتضت في خور شمبات ضريبة بالضعف كل ضربة في بطل

منها بضربتين[٣٠]

نذكر «كتفيّة» والإمام، نذكر الغرب، رجال الغرب والصدام،

نذكر

«اللواء» والإقـدام، نذكر الشعلة حين مات القرشيّ قام

القرشيّ يفتديها

كحوار القرشيّ، شبكة سبحان من يحلها، خشية أن نضام، أن

نسام

شينة، شنشنة مشهورة يعرفها العدو لا ترتاح أو تريح[٣١]

أفخر ملء الشدق بالأشبال، قد شوتهم الصهوات في النيران،

---

(٢٩) المك نمر الذي رد إهانة إسماعيل بن محمد علي بأن حرقه وكل جيشه .

(٣٠) أول اصطدام ضخم بين التركية والمهدي ١٨٨٧ انهزم فيه جيش هكس باشا وفيه ١٠,٠٠٠ رجل، المعركة الجانبية الصغيرة في خور شمبات يقودها عثمان دقنه .

(٣١) كتفية: انتفاضة الحلاوين بقيادة إمام ولد حبوب، وفي الغرب ثورة التخيني بنيالا وحرب علي دينار، واللواء الأبيض أول تنظيم سياسي بالسودان . قرشي الطيب مات في مظاهرات الجمعية التشريعية ١٩٤٨، وأحمد القرشي مات في ١٢ اكتوبر ١٩٦٤، وحوار الشيخ القرشي هو المهدي وقد درس عليه وبنى قبته...

جعلتهم ضمّراً كالخيزران، كل أفعى سال فيها سمها، وحين

كانت لا تزال بيضة

بعدُ ولم تلدها أمها، كان بها شوق إلى الفحيح

أذكر كل عارم مندفع «كالقاش» في اندفاعه، قشّ الجيوش

إذ غشاها كالوباء الفاشي، والموت في متاعه، فعرف الباشا

الغشيم طول باعه، وفهم السردار والنجاشي : المالح الخضم

لا يُنال صخر قاعه وقد بدا يلوح في ذراعه الردى مكشراً

قبيح(٣٢)

أثنى عليهم ثم انثنى لفتية قد ورثوا عنهم شمائل الكرام

شهدت شدتهم

شوارع الخرطوم حين شاموا الموت رأيَ العين

المجد للذين انحدروا من الديوم، من أزقة البقعة، من

شمبات، من بحري،

---

(٣٢) هزم الأمير خميس الإمبراطور إياسو في واقعة الزكيات وذلك على عهد بادي أبي شلوخ سلطان سنار، وهزم الأمير حمدان أبو عنجه النقس يوحنا في واقعة القلابات على عهد الخليفة عبد الله .

من الجريف، من بُـرّي، يرفرف الشعار في أيديهمُ يكاد من

أعينهم يصيح

المجد للطلاب، للمثقفين، للعمال، للنساء، للأطفال، في

الجنوب والشمال،

للضباط لم يخونوا الشعب، للجنود

المجد للزراع في الجزيرة الخضراء، للذين زحفوا من كسلا،

وللذين سقطوا في

الثغر، للكتيبة الزرقاء في مدينة الحديد

المجد للفاشر، للدويم، للأبيض الغرا، لكوستي، ولسنار،

وللقرية، للجنيد المجد للسافل والصعيد، للأرياف للقرى،

لكل، فرد قد قرأ بعزمه انبعاثنا الجديد

المجد للمنفيِّ في الحدود، للمشنوق، للمحروم من حقوق،

لمقتر عليه في الرزق بلا حدود، للشريد، للطريد، للسجين،

للشهيد.

المجد للساري استضاء بالنجوم في الفلاة حينما الليل حلك

المجد للذي «كرّج» أسنان الفحول شائلاً لحمله وما برك[٣٣]

المجد للذي أبى على الطغاة أن يديروا أمره بزمبلك

المجد للذي عفّ ولم يفتح مع الظلم حساباً مشترك

ولم يخن ضميره، ولم يهن تفكيره، ولم يسر إلى الشرك

ولم يصم أذنيه عن نداء بل رمى بنفسه في المعترك

وللذي بدمه وماله وجهده قد اشترك

المجد لي.. والمجد لك...

(٣٣) كرّج : حرق الأرم .

(٩) هات لي بوقي

هات لي بوقيَ بوق العاج ، لا الآخر. واسبقني الى الساحة،

خبّر صاحب الحانة أن ينزل لي الراية

هاته وأعلن عزمت اليوم أن أنشد حتى النجمة الأولى من

الفجر

الأناشيد لمولاي،

هاته وادع لي الشعب، أميري الشعب، وأجلسه على القلب،

أبايعْهُ على

السهل على الصعب، وأصفيه نو اياي

هات لي بوقيَ بوق العاج !

* * *

خوَاطِر

في المجموعة قسم أسميته خواطر وهي قصائد تامة في نظري .. أقول هذا لأن للعرب مفهوماً طولياً للقصيدة يسخَّر منه بيت واحد من الحكمة أو الوصف المتكامل يند من قصيدة كأنها ليل السليم أو صلاة الكسوف. صحيح، أن كثيراً من الشعراء كتبوا قصائد لم تتقيد بذلك المفهوم الطولي منذ الجاهلية وإن كنا في شك هل كانت الحماسيات قصائد كاملة أو بقايا قصائد حتى عصرنا الحالي، كأوصاف ابن الرومي مثلاً. ولكنها كانت تحمل سمات الموروث السائد في كل شيء آخر .. والقصيدة الحديثة التي تخلصت من قيود العمود القديم ومن وحدانية القافية أو تكرارها «الأرابسك» لم تتخلص من ذلك المفهوم الطولي..

في بعض هذه الخواطر قصائد حاولت أن أزاوج فيها بين الموروث العربي وبعض ملامح «الهايكو» اليابانية التي تذكرنا برشاقة خطوط الرسم الياباني ورقتها وبما في فن

تنسيقهم الزهور من ذوق وروعة، إذ إن لمسات قليلة بالقلم أو الفرشاة توحي عالماً بأكمله ..

«الهايكو» لا قافية لها ولا وزن تتكون من سبعة عشر مقطعاً أو سبباً قد تزيد إلى واحد وثلاثين «تانكا» أو تنخفض إلى أربعة عشر. ومن ثم بإمكان أي ياباني أن يكتب شعراً إن كانت هذه هي القضية، على أن المحك في نظرهم أن يكتب شيئاً ذا قيمة ... لأن القصيدة الجيدة في مفهومهم وبخاصة «الهايكو» ينبغي أن يكملها القارىء لا أن تأتي كاملة . لذلك تمتاز «الهايكو» بإيجازها وبإيحائها وبأخيلتها الصارخة المثيرة . ولهذا كانت ذات تأثير كبير على المدرسة التصويرية مثلما كان الرسم الياباني على المدرسة التأثيرية ... يقول أحد رواد المدرسة التصويرية إن الشعر قضية تناول لا تعليق، ينبغي ألا تقول أنا سعيد جداً بل أن تبدو عليك السعادة وهو ما عبر عنه قبل مائتين وخمسين عاماً الشاعر الياباني تشيكا ماتسو بالكلمات نفسها تقريباً.

من أساليب «الهايكو» أن يستلف الشاعر كلمات قليلة من

شاعر قديم مضيفاً إليها كلمات قليلة منه، مضيفاً على تلك الكلمات القديمة نبرة الحاضر الجديدة . فليست الأصالة بذات أهمية بقدر ما هو التعبير الجديد الخلاق عن «ما خطر على بال أحد من قبل ولم يعبر عنه خير تعبير».. أرجو أن تتأمل معي هذه «الهايكو» العربية :

النيل و خيرات الأرض هنالك

ومع ذلك..

ومع ذلك..

إنني لو نثرتها في معلقة بأكملها ما تخطيت الأثر الذي تتركه هذه الكليمات. وقراء العربية يعرفون هذا الأسلوب - لقد جربه ميخائيل نعيمة على نحو ما في « كرم على درب » ولكن «كرم على درب » نثر وليس بشعر مثله في ذلك ما تقوله «ثريا ملحس» وأضرابها من المتفننين والمتفننات.

إنني أرجو أن يعم هذا الفن، والمحك أن نكتب شيئاً ذا قيمة..

كما يقول اليابانيون... كفاية.

خواطري شتى

أنظمها حتى

يسمعها الموتى

وقارئ لا يزال

خلف خيال الخيال

مخطط في العدم

بريت حد القلم

في ساعة من سأم

قلت أرود الحقيقة

مثل شيوخ الطريقة

لدى الأمور الدقيقة

أنا الضرير«ترسياس»

أروم ما لا يرى الناس

قرعت باب «ديوجانس»

لعلني أستعير

مصباحه فأسير

رأد الضحى في الشوارع

مفتشاً في المجامع

عن جاهل يتعلم

وعالم يتكلم

إذا رأى ما رأيتُ

إذا وعى ما وعيت

ولا يقول: أبيتُ

إذا دعته الحقيقة

إلى المياه العميقة

زنجيتان مرّتا لونهما كالقار

لفتهما ضبابتا عطر على بهار

كأنما هما معاً «بمبا» و«زنجبار»

* * *

حبيبتي زرت حياتي بالمرح

غرد قلبي وصدح

وامتد في جوانحي قوس قزح

* * *

في الفقر واليباب

يمثل السراب

النيل والسحاب

* * *

هذا المساء

يزورني الأصدقاء

في البيت يا للسعادة !

* * *

يغبطني الأصدقاء

على كؤوس الغباء

يترعها لي .. الطاووس والببغاء

قالت له ، يا فرحتي قُبلتُ !

وأدها...

«كفاك ما حصلته يا بنتُ

مكانك الوحيد بعد هذا البيت»

* * *

جدته...

كانت «نوباوية»

ولذاك هيَ...

ـ صدق أو كذب

عقدته

* * *

قالت له الرذيلة:

كفاك شتم أختي

فأنت كل ليلة

تزورني في بيتي

* * *

أشجار جوز الهندِ

نحيلة لكنها تنوء بالثمار

يأخذ منها كل شخص مار

وأنت يا غليظ يا جهام

ردك للسلام:

انصرفوا، غوروا، فليس عندي

* * *

هذي «الشلوخ» في خديك يا أفريقيا

فصد مُدى الغريب

بعضهمُ يقول إنها جمال

وبعضهم بأنها التشويه والتعذيب

* * *

امرأة «كباشية»

بحمار مقروح وحطب

ماتت في الشارع، وسط الشارع، في «العبَّاسية»

* * *

يراعة تقشّع الظلمة

كأنها نجمة

خضراء

يراعة تلمع ... كالرجاء

في خاطر الأمة

وجلس الوزير عارياً كالذئب في كرسيه الوثير

وقال للمدير:

ماذا ترى فيَّ؟ فردَّ: كل خير

يعجبني هذا الصباح فيك «يا معاليك» قميصك الحرير.

* * *

سبحان اللّه، أخونا مكّاوي

من بعد خمولٍ صار جليساً للوزراء

صارت تتهاداه الأضواء

ويهش له ركن الأنباء

ويداه كسَاقيْ دنكاوي

تمتد إلى كل الأشياء

* * *

ذاك الذي يعاقر «البيرة»

لم يرضَ لي منه بتأشيرة

وكنت «بدارالسلام» لولاه

أخّرني أخّره اللّه

* * *

يا أسداً غضبان

حوّم في القضبان

يحلم «بالنتيلة»

أنت ببالي الآن

* * *

النيل وخيرات الأرض هنالك

ومع ذلك..

ومع ذلك..

* * *

وضفضعات...

حلَّ عليهن جفاف المجرى

بلعنةٍ بين الشقوق كبرى

ليس لهن من قبضتها انفلات

إذ لم تذق جلودهن الماء

لسنةٍ، وسنةٍ، وأخرى

قريتهن سميت مدينة الأموات

مشؤومة والموت فيها استشرى

واحدة من بينهن راحت

تقاوم الجنون والإعياء

وذات يومٍ شمّت الأنداء

فاقتلعت حلقومها وصاحت:

بشرى لكنّ.. الماء يا بنات

بشرى لكنّ.. الماء يا بنات

فانتعشت أخوتها.. وماتت

ومرّغ الأشم خده للبئر كي تسمعه أعماقها العمياء

وقال في استحياء:

معذرة، مثلك من يعفو لمن أخطأ أو أساء

ولتغفري يا أخت ما أسلفت من شتمك.. لي رجاء

قد شحت السماء عامين، وهدّ حيلي الظمأ..

يا أخت، هل لي منك بعض ماء؟

* * *

تقول لي: مثقفو الخرطوم كالصحراء لا تنبت فيها بذرة

أخطأت في التشبيه للصحراء في المساء روعة وبهرة

وكانت الصحراء في ماضي الزمان شاعراً ذا قلم وقدرة

لكنه استكان للخمول، للذبول وأذل شعره

فرّط في خياله، وما الخيال للصحراء إلا الخضرة

مثقفو الخرطوم قهوة، ونومة، وسهرة، وسكرة

تفحمني : حلمك يا هذا، لقد أشبهتهم . أنت وهم في هجرة

* * *

كان في عينيه شيء لا ينال

وهو يحني ظهره بالمشرق

قلت إذ حييت من أنت؟ فقال

كان آبائي «رماة الحدق»

من بلاد النخل من أقصى الشمال

وحينما يرفع ديك صوته بالصياح

والناس: في أسماله نائم

مستغرق أو آخر حالم

والصمت في أفكاره ساهم

والليل في شملته جاثم

كالغول..

فاعلم أن ذاك الصباح

موكبه قادم

* * *

تقول لي يا صلاح

بالغت في القول ففيم الحماس؟

أقول شمس الصباح

من قبل أن تظهر

يعلن عن مقدمها للبطاح

خيالها الأكبر

كأنه صينية من نحاس

يضج فيها الألق الأحمر.

* * *

يا غضبة الشعب الطريد الغبين

هل دجَّنتك السنون

تستفسر الثارات في كل عام

متى تسيل الخيام[٣٤]

ناراً على الغاصبين.

* * *

هل شذب الظلم شَذَاةَ العرب

وغزتِ الضبع حماهم نهار

وافتخر العار عليهم وعار..

---

(٣٤) هي خيام اللاجئين كما لا يخفى.

رايتُهُمْ قد طويت في انكسار

هل نسيت رقصتها «بالنقب»

وسيفهم هل نسي الانتصار

لا نفرت فيه عروق الغضب

أو ندهت والهة فاستطار

يركب بالهول إليها اللهب

هل نسي الحافرُ قدحَ الشرار

واخترم الحق طويل التعب

يا ثمر المجد كفاكم صَغار !

* * *

من دخل السودان خائضاً في جثث الآباء

مذل هذا الشعب بالصفعة، بالركلة، غير المقْولِ الجارح

خمسين عاماً رازحين تحت سرجه إعياء

من ظلمه الفادح

والعار والمجاعات وجهل جامح

والخوف واقتطاعه الجنوب والشقاء

يلقى له مادح

كل خصيٍّ نخوة، يحسب ذاك صقلاً منه أوتظرفاً، عنّين

كبرياء

عن شعبه جانح

يقول بحنين مختلِّ المقاييس، وموطوء الذكاء و الإباء

يقول - عن خانقه النابح -

إنهمُ ذوو العيون الخضر ليلاهـ بلا حياء:

السلف الصالح[٣٥]

* * *

رأيته ينفث في وجه الأصول والقوانين الدخان من سجارة

رأيته يسير تنحني له الجدران في الوزارة

رأيته يطعم بعض طيره المفيد في التجارة

رأيته يرتب الأمور ليلة ويغتني نهاره

رأيته ترقص من توقيعه الرخصة والإذن والاستمارة

رأيته يسعى له العطاء بالإيماء بالإشارة

رأيته يحلب قلب الشعب ثم يدَّعي الخسارة

---

(٣٥) وصف يستعمله بعض المتظرفين في السودان في الحديث عن الإنجليز وحكمهم.

رأيته يهرِّب الأموال للخارج في جسارة

رأيته تنحل كل عقدة أمامه «بالشيء».. بالشطارة

بشرك الشهوات، بشراكة التوقيع، بشفاعة الإدارة

بالاسم، بالزيّ وبالقريب والنسيب

بالصديق، بعلاقة الفريق،

بالمشروع، بالعمارة

رأيته، أراه حيثما ذهبت، أو أسمع عنه ما يشاع

أو أشم منه ما يفوح لا مناص

يضج منه الناس كالوباء، لقبوه بالفساد تارة

وتارة تأدباً منهم، تقرباً، وربما لكي يزيّنوه بالقطاع الخاص

* * *

يا ابن الكرام الأباة..

هناك حيث الرُبا والبطاح

طال عليها النواح

هاشميات ينادينك : وا معتصماه

* * *

قلت لهم وهم.. عِزْق سَلغْلع نما

.. في غفلة

لم تشنقوا الكثير بالعدد

وإنما

شنقتمُ كرامة البلد

ولشاعـر ذرع العـراق بهـمَـهِ زرع الحقيقة في النفوس قصائد

رددت قـالتـه لقـوم أسـرفـوا نـاسيـن ما سيقولـه قـوم غـدا :

سيقول جيل مقبل عن حاضر نُشوى عليه لعنتَ عهداً بـائداً

* * *

تسائل عن حزني وأطـراق مقولي

وعن ظلمات الصمت ألحدتها شعري

تـسـائل لا تـدري بـأن غبينتي

أصابع في الآذان لم ترض بالوقر

فـقـلـت لـهـا عـنـي سـؤالـك إنـمـا

«يعيش القريض الحر في البلدا لحر»

* * *

كذاب لا تفتح فماً كلماته تجري صديدا

كالجرح منفتح يفوح عفونة وينز دودا

* * *

أنهنه غيظي وهو يفري مرارتي

وأعرض عن قول الهجاء تساميا

لو شئت ! لكن دون ذلك همة

تردد لي كيلا يزل لساني :

«فلو أن عبد الله مولى هجوته

ولكن عبد الله مولى مواليا»

* * *

وكحاتم سهران يطعم ليلَه الهنديَّ نيران القِرا

أشعلْت في ليل العرب

نار الغضبْ

وهتفت في مستسلمين إلى الكرى

عند الصباح ستحمدون ليَ السُرى

فاستنهضوا عزماتكم حتى نرى

دحر الغزاة، وفجر تحقيق الأرب

يا كبرياء عريننا يا ناصرَ

العُرْب الأباة، وزين آساد الشرى

يا بسمة الأحفاد، يا نافورة الأمجاد، يا أحلى بني الضاد

النبيل المنتخب

ما عمرو في الإقدام، ما ابن العاص، ما هارون في وثباته، ما

عنترا؟

بك قد سقينا غضبة الصمصام، اقذفها بنا تعنُ الذرى

وانفخ نفيرك في فم الوادي، نلبّك دارعين وحسّرا

يهتز قلب الأرض من خطواتنا، ويغصّ حلق الشمس منا

عثيرا

ونفيض مثل النيل في إبّانه، إمّا جرى هدّ المدائن والقرى

فاغش المشارف كل ثغر زاره حرف بإسمك يستحيل القاهرا

وارغم أنوف الحاسدين وكيدهم، فالصيد كل الصيد في جوف

الفرا

هناك حيث كانت دير ياسين

قام الكيبوتس مثل فرن الغاز

قام الكيبوتس زرعه مخضوضر ونبعه نزّاز

* * *

ياشعب لو أن صراخي مُدى شقت صمـاخ

نهضتَ لم يهزأ بقلبي صدى ذاك الصراخ

* * *

وقفتُ في السوق أنادي الهمم لعلها تستفيق

وجـدتُ أنـي زورق متّـهـم ينفر منه الغريق

* * *

وما الذي قلت سوى أننا ندبٌ.. لا نحيا

نهرب للوهم بآمالنا و نترك الدنيـا

* * *

نقنع بالشيء الخسيس الحقير كإبل الصحـرا

و في البلاد الخير دانٍ وفير و أرضها خضرا

* * *

ونسلم الخائن منا العنان نسلمه و الغبي
ونترك الحق يقاسي الهوان كما يقاسي النبي

* * *

نشيح عنه وهو فينا يصيح يا قوم يا قوم
شبعتم نوماً واني نصيح لو ينفع النوم !

* * *

والكهف قد غطّى عليه التراب و أنتمُ فيه
يا شعب لو تعرف كيف المآب من ضلة التيه

* * *

وما الذي قلت سوى أننا نقضي احتراق
نساق لا نسأل من ساقنا فيم وأين المساق

* * *

و نأخذ القول على علةِ من كاذب خادع
لا نسأل القائل من غفلة برهانه القاطع

* * *

ونترك الأمر الجليل الجليل للهيّن الليّن
لانستبين الحق نخطي الدليل وان غدا بيّن

* * *

وما الذي قلت سوى أننا أقوى من الحاكم

أقوى على رغم الذي نالنا من بطشه الغاشم

* * *

أقوى وإن جرب فينا السلاح علّقنا بالمشانق

أقوى وإن أثخننا بالجراح عسكره والبنادق

* * *

أقوى لأن الشعب لا يقهر مهما استطال الزمن

فانهض سئمنا وهدة المنكر انهض وهدّ الوثن

* * *

يا شعب لو أن صراخي مُدى شقت صماخ

نهضت لم يهزأ بقلبي صدى ذاك الصراخ

صلاح أحمد إبراهيم - سيرة ذاتية

ولد الشاعر رحمه الله بمدينة أمدرمان في ٢٧ ديسمبر عام ١٩٣٣م. تقلب في دراسته الأكاديمية بين كلية الآداب جامعة الخرطوم ومعهد الدراسات الأفريقية بغانا طالباً ومدرساً، ومعهد الدراسات الاجتماعية بلاهاي مع فترة دراسة موجزة بمعهد الصحافة والإعلام التابع لجامعة ستراسبورج. تقلب في حياته العملية بين التدريس والعمل بوزارة المالية والاقتصاد بما في ذلك عمله مفتشاً للضرائب. ثم بوزارة الخارجية بما فيها فترة عمل بالأمم المتحدة ومجلس الأمن ثم سفيراً. كل هذا تخلله فترة من التشرد. عمل خبيراً مستشاراً لدى سفارة قطر بباريس حتى وفاته في ١٧ /٥ /١٩٩٣م.

الإصدارات والترجمات:

- مجموعة قصص قصيرة بالاشتراك مع صديقه القاص علي المك بعنوان «البرجوازية الصغيرة» عام ١٩٥٨م .
- ترجمة كتاب النقد الأدبي الأمريكي «لوليام فان أكونور» عام ١٩٦٠م.
- اشترك ورفيق دربه الأديب الأستاذ علي المك في ترجمة كتاب «الأرض الآثمة». «لباتريك رنزبيرج» عام ١٩٧١م
- أصدر مجموعته الشعرية الأولى «غابة الأبنوس» عام ١٩٥٩م.
- أصدر مجموعته الشعرية الثانية «غضبة الهبباي» عام ١٩٦٥م.
- أصدر بالعامية السودانية ديوانه «محاكمة الشاعر للسلطان الجائر» عام ١٩٨٦م.
- صدر له بباريس في أغسطس ١٩٩٠م ديوان «غابة الأبنوس وقصائد أخرى».

صدر له بعد وفاته:

- ديوان «نحن والردى» عام ٢٠٠٠م،
- ديوان «يا وطني» عام ٢٠٠٧م.
- مجموعة قصصية بعنوان «تاجوج وحكايات أخرى» عام ٢٠٠٧م.
- ديوان «غضبة الهبباي» أبريل/ ٢٠١٣م.
- ديوان «غابة الأبنوس» مايو / ٢٠١٣م.

إصدارات تحت الطبع:

- «الجِرو الأبيض» مجموعة قصصية.
- «النُذر» مجموعة شعرية.
- «جديرون بالاحترام» مجموعة مقالات صحفية نشرت في مجلة اليوم السابع باريس في الفترة (١٩٨٦-١٩٩٠)م.
- كتب لعدة صحف ومجلات دورية تصدر بفرنسا وبريطانيا والعالم العربي.

المحتويات

الرقم الدولي
ISBN978-9948-22-171-5



هـا نـحـن ذا فـي «دبـي الثقافية» نقدم لكم هذا الإصدار «بـوق العاج»، واضعين نصب أعيننا ما نذرنا أنفسنا له، وهو نشر الثقافة العربية وتقديمها للقراء الأعزاء من خلال كتاب «دبـي الثقافية» الشهري، مع حرصنا على التنويع في شتى مشاربنا الثقافية، تعميماً للنفع، وحرصاً على محاربة الرتابة المفضية إلى الملل، ولن نألو جهداً في إضافة المزيد.

سيف المري

صلاح أحمد إبراهيم

108

يصدر أول كل شهر ويوزع مجاناً مع مجلة دبي الثقافية

مجلة دبي الثقافية تصدر عن دار

الصدى

للصحافة والنشر والتوزيع